" كما أنه ليس في صالح الوصي علي الأيتام أن يبلغ اليتيم رشده، كذلك المستبد ليس في صالحه أن تتعلم الرعية وتتنور " [طبائع الاستبداد]

الفصل الثاني
القواسم المشتركة بين العولمة والاستبداد والإرهاب

obeikandl.com

obeikandl.com

- **العولمة وفق أهم تعريفاتها عملية مستمرة تكتسب من خلالها العلاقات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والتكنولوجية، سمات مجردة عن المسافات، والحدود الطبيعية أو المصطنعة، بحيث يصبح البشر الذين يعيشون في هذا العالم يسكنون مكانا ضيقا أي مكاناً واحداً شديد الترابط، وينتقل فيه تأثير الأحداث والظواهر بسرعة فائقة، مهما كانت نوعيتها، أو مكان حدوثها.**

وقد أشرنا في المبحث السابق إلى أثر العولمة الليبرالية في انهيار المجتمعات الرخوة وقدرة أدوات العولمة الإعلامية الجبارة على اختراق ثقافة تلك المجتمعات عبر عدة محاور، حيث تبدأ بتجنيد واستخدام شبكات واسعة من المستفيدين محليا وإقليميا ودوليا، فيما يعرف ببناء الطبقات الحاكمة في دول العالم الثالث وتمر بتوظيف رؤوس الأموال الضخمة وتكنولوجيا المعلومات والمعاهدات والاتفاقيات الدولية في تنفيذ عملية الاختراق المنظم للحكومات والدول النامية وشعوبها.

أما عن الكيفية التي انتشرت بها ثقافة العولمة حسب تقسيم " روبرتسون" فإننا نستطيع التمييز بين مراحل انتشارها واختراقها للمجتمعات العربية بصورة متسارعة إلى ثلاثة مراحل([112]):

المرحلة الأولى: مرحلة البداية التي استمرت إلى منتصف العشرينات من القرن العشرين.

المرحلة الثانية: مرحلة الصراع من أجل الهيمنة والتي امتدت إلى أواخر الستينات.

المرحلة الثالثة: مرحلة الشك التي استمرت إلى بداية التسعينات.

وحصلت هذه التحولات في تلك المراحل علي دعم كبير من وسائل الاتصال الحديثة التي تعمل على تسطيح الإدراك، وتسليع التعليم والمعرفة وحصر تقديمهما إلي الطبقات التي تمتك السلطة والمال في الشعوب الفقيرة والأكثر فقرا، وتحويل ثقافة العولمة إلى ثقافة حتمية تسير في اتجاه واحد، وبهذا ألغت العولمة ما كان يعرف– من قبل– **بالمثاقفة** كاختيار طوعي عبر عملية فلترة للتوجهات والسلوكيات للشعوب والأمم للانفتاح على الآخر وتلاقح الأفكار والاستمداد المعرفي من الغير عبر عملية انتاج طبيعية ترتقي بثقافة الشعوب، حيث فرضت ثقافة العولمة

[112] - إيان كلارك، العولمة والتفكك ص 27

خيارا وحيدا وقسريا هو " التنميط " لاجتياح الفضاءات الثقافية، من قبل الثقافة الأقوى والأشرس.

وفي كتاب بعنوان (العولمة والإرهاب: عالم مسطح أم وديان عميقة؟) توصل الباحث إلى وجود " علاقة طردية – إيجابية وأثر متبادل بين العولمة والإرهاب، وهذا يعني أن الزيادة في ظاهرة العولمة تؤدي إلى الزيادة في ظاهرة الإرهاب، ولكن ليس بالضرورة بالمقدار نفسه، كذلك النقصان في ظاهرة العولمة يؤدي إلى النقصان في ظاهرة الإرهاب ولكن ليس بالضرورة بالمقدار نفسه"([113]).

ويسترسل "سعود الشراقات" في تحليله لتلك العلاقة من خلال استخدام "معامل الانحدار" الذي بين فيه درجة العلاقة الهيكلية الوظيفة بين الظاهرتين، حيث أثبت أن هذه العلاقة هي علاقة طردية إيجابية ذات دلالة إحصائية، لأنه عندما زاد المؤشر العام للعولمة بمقدار وحدة واحدة فقط، فإن مؤشر الإرهاب العامّ قد ازداد في المقابل بمقدار (47%) من الوحدة، وهذا يعبر بالفعل عن قوة هذه العلاقة، وبهذه الطريقة تم تسليط الضوء على المساحات المشتركة بين الظاهرتين، ظاهرة العولمة وظاهرة

[113] سعود الشرفات، العولمة والإرهاب: عالم مسطح أم وديان عميقة، ، ص 285

الإرهاب الدولي في القرن الحادي والعشرين، ويعزو الباحث هذا التقاطع النفعي إلى إفادة الجماعات الإرهابية المسلحة من تتبع تطور ميكانيزمات العولمة التكنولوجية واستخدام مخرجات التكنولوجيا الرخيصة في ابتزاز الأنظمة السياسية التابعة والهشة، وبهذا خلقت الدول الكبرى المهيمنة موقفا بالغ التعقيد، فكل تقدم وتسارع في خطى العولمة يقابله تسارع وتقدم في آلية عمل الجماعات الإرهابية([114]).

ونتساءل بناء على ما تقدم : هل معنى ذلك أن العولمة تتوافق مع الأصولية الجديدة بحيث يفيد كل منهما من الآخر أو العكس ؟ وكيف يحدث ذلك ؟

إن الأصولية الجديدة التي ترسخت كأيدولوجيا منغلقة بين فرقاء جاءوا من مصر ودول النفط إلى صحراء أفغانستان القبلية وما حولها(طالبان الأفغانية) مع طلاب تعلموا علوما حديثة في الغرب، ورجال أعمال ووجهاء مثل " ابن لادن "([115]) وغيره لأمر يدعوا للتأمل والبحث، إنه الرفض الكامل لمظاهر الإهمال والإقصاء والظلم وفقدان الهوية.

---

[114] ـ ينظر : المصدر السابق

[115] بثقافته الوهابية الموغلة في القبلية والإقصاء والاستقطاب

فالأصولية الجديدة العابرة للقومية والتي تكونت عبر شبكات اجتماعية غير رسمية وحركات أخرى شديدة المركزية، ضمت إلى جانب الوهابية وجماعة التبليغ والجهاد والدعوة، كلا من طالبان وقسما معتبرا من الدعوة السلفية وشرائح من جماعة الإخوان البنائية والقطبية لتكون في نهاية الأمر تنظيم القاعدة وجيش الإنقاذ والحركات الراديكالية والجهادية في باكستان وغيرها وصولا إلى النسخة الداعشية (نسبة إلى داعش).

هذه الجماعات الراديكالية ذات المعرفة المحدودة بسيرورات التاريخ ظلت مهووسة بالعودة إلى ما يسمى ب " النبع الصافي " أو" الإسلام الحقيقي " حسب أوليفيه روا؛ لأنها تريد أن تطهر ممارسات المؤمنين من العناصر غير المتعلقة بالإسلام، والإسلام وحده، وتوغلت في التأكيد علي تميز الهوية، وهي بالتالي تريد مسلما مجردا من الممارسات الثقافية والاجتماعية التي تنتشر في مجتمعه مثل مصر...وسوريا...والجزائر واليمن...وليبيا الخ، كل ذلك بمعزل عن تأثيرات التاريخ والجغرافيا، أي أنها تريد طبعة ثقافية إسلامية مكربنة على امتداد الجغرافيا الإسلامية التي قد تشمل العالم كله أو معظمه، حيث تجعل ممارسته للشعائر الدينية موافقة لمجموعة مغلقة تحدد

وتعين الحلال والحرام، بينما تعد الثقافة الأصلية في هذه الحالة انحرافا عن الإسلام الأصلي الحقيقي– من وجهة نظرهم–الذي يجب بناؤه، فالأصولية الجديدة لا تحدد ثقافة أو إطارا ثقافيا ينمو ويتمدد عبر ممارسات تاريخية مختارة، بل تضع قانونا ملزما متجانسا ومتكيفا مع كل المجتمعات([116]).

ويتضح مما تقدم أن أهم الأسباب التي حفزت على اتساع رقعة الأصولية الجديدة في المنطقة العربية؛ أنها تتوافق تحديدا مع ظواهر العولمة المعاصرة التي تدعم تفكيك المجتمعات التقليدية واستنساخ النمط الأمريكي الغربي كنمط حديث، فالهدف المشترك بينهما (نقطة التلاقي) هو هدم المجتمع، ويختلفان في أن كلا منهما يسعى لهدف خاص به وهو إعادة تأسيس مجتمعات جديدة، ويقوم هذا التصور عند دعاة العولمة على سيادة اقتصاد السوق واكتساح الإعلام لفرض الواقع التبعي الاستهلاكي، بينما يقوم تصور الجماعات الأصولية الجديدة على إنشاء مجتمعات خيالية (افتراضية) اعتمادا على الفرد أو الفردانية القائمة على التطهر كفضيلة !!!.

[116] - ينظر : أوليفيه روا، عولمة الإسلام ص 153

وبعد، أظن أنه يمكننا الآن الرد على تساؤلات " إيان كلارك " عن مطابقة العولمة للسلام والاستقرار أو لتنشيط عمليات التفكك في النظام الدولي ؟ صحيح لقد ثبت بالدليل القاطع أن مراحل التفكك كانت مصاحبة للقلاقل الدولية الحادة في الفترة الزمية بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، إذ مازالت آثار سايكس بيكو التفكيكية تتفاعل في المنطقة العربية حتى بدأت شواهد سايكس بيكو الثانية (بوش–نتنياهو) بداية من إشعال حرب العراق إيران، وغزو الكويت مرورا بتدمير العراق وسوريا، وبذا يكون التفكك عمل تدميري خبيث ومستمر، ولكن هذا الاستنتاج قد يكون استنتاجا موغلا في السطحية، لأنه يعني من ناحية أخرى أن العولمة هي النظير الحميد والحسن لعملية التفكك، أي دعم التوجه نحو التوحد ونشر قيم الديمقراطية كقيمة عالمية عابرة للجغرافيا([117]).

وإذا نظرنا إلى العولمة باعتبارها القوة التي تحمل قيم الديمقراطية والتحرر إلى شعوب العالم من أجل إحداث تطور سياسي، فإن نتائج غزو العولمة لم يؤد إلا تسويق شعارات استهلاكية في معظم بلدان العالم الثالث الرازحة تحت نير الاستبداد والفساد

[117] - ينظر : إيان كلارك، العولمة والتفكك ص 9

والتخلف وتتوق شعوبها للحرية والتحديث والتنمية فوقع معظمها تحت سنابك القلاقل الفوضى، بينما أفاد من تلك الصراعات التكتلات الاقتصادية الكبرى مثل الأمريكية والأوربية ودول شرق آسيا مثل (اليابان والصين وماليزيا وغيرها).

وينظر " إيان كلارك "([118]) لعمليتي العولمة والتفكك باعتبارهما توأمين، فهما عمليتان مستمرتان ومتفاعلتان معا، وهما في الوقت نفسه انعكاس للأحداث الرئيسية خلال القرن العشرين (وبصورة أكبر في النصف الثاني)، حيث تنامت الأبعاد الاقتصادية للعولمة واتفاقيات الجات بقوة في ذات الوقت التي انبعثت فيه الحركات القومية العرقية التي مزقت المجتمع الدولي، وحقيقة الأمر أن عملية المد والجذر وتناوب السيطرة بين التوأمين لم تتوقف بدليل سيادة قوى التدويل في عشرينات القرن الماضي، بينما أثبتت قوى التفكك أنها لا تقاوم في ثلاثينات القرن نفسه.

وتنفرد ثقافة العولمة – في رأي كثير من الباحثين– بعدد من الخصائص أهمها: أنها ثقافة عدوانية تستخدم المعرفة كسلاح حصري لا يملكه ويتحكم فيه سوى أصحاب المال والسلطة وعملاؤهم، وفي صورتها الحديثة تشرعن مبدأ القوة والعنف، وهي

---

[118] - ينظر : المرجع السابق ص 12

في الوقت نفسه ثقافة منقطعة عن الماضي وبدون ذاكرة جماعية أو بمعنى آخر ثقافة لا تاريخية ولا تولد إحساسا مشتركا بالهوية وتتسم بنزعة توسعية، ولكنه توسع سطحي لا يتسم بالعمق ولا بالتجذر([119]).

ويري علي ليلة أن ثقافة العولمة تتخذ موقفا عدائيا من الثقافة القومية باعتبارها ثقافة الدولة القومية، وتعمل على تنحيتها تارة عن طريق الإجراءات الاقتصادية وسيطرة الشركات متعددة الجنسية، وتارة أخرى عن طريق فرض سياسة الخصخصة (مصمصة دماء الشعوب ومؤسساتها) وإضعاف سلطة الدولة في زيادة مساحة التشغيل (وهو ما يؤدي لانتشار البطالة)، ونشر أحدث تكنولوجيا المعلومات لإظهار عجز الدولة عموما عن حماية حدودها الثقافية، وهذا يعد شكلا من أشكال الشمولية الجديدة التي تستنفر قوى المقاومة المضادة والتي تتحصن بالأصولية للحفاظ على هويتها وخصوصيتها الثقافية ومن هنا يتخذ الصراع منحى قوميا أو دينيا أو اقتصاديا، وتكون الطائفية إحدى إفرازات الشمولية الثقافة للعولمة([120]).

---

[119] - ينظر : حامد عمار ، في مواجهة العولمة في التعليم والثقافة ص 42

[120] - ينظر: علي ليلة ، اختراق الثقافة وتبديد الهوية 1/132-136

ويذهب أحد الباحثين المعاصرين([121]) إلى أن تغذية قضية الهوية علي كافة المستويات المحلية والدولية- بدأت من خلال نظريتين شهيرتين هما " نظرية نهاية التاريخ والإنسان الأخير " لفوكوياما والنظرية الأخري عبر عنها كتاب" صراع الحضارات" لصامويل هنتنجتون، وساعد علي ظهور تيار عريض أطلق عليه " الإسلام السياسي " واستطاع هذا التيار إشعال الصراع حول الهوية مع بقية مكونات المجتمع السياسية والثقافية باعتباره المنافح الأول عن الهوية الإسلامية في الداخل والخارج.

وبما أن القناع الثقافي كان أحد الأقنعة السبعة للعولمة التي بشر المؤرخ الأمريكي " رونالد ستيل " بسيادة ثقافته الممثلة في أفلام هوليود ووجبات ماكدونالز وكنتاكي، وثقافة أفلام الحركة والعنف والجريمة والجنس والتكنولوجيا الفائقة والكاتشاب([122]) في أنحاء المعمورة، مما خلق إحساسا باستهداف الهويات لشعوب العالم الثالث ومنها الشعوب العربية.

ويبدو أن نظم الشرق الأوسط الذي حافظت علي ميراثها التليد من الطائفية والتعصب المذهبي الديني والقومي والعرقي لم

---

[121] ينظر : محمد شهيد، التباس المفاهيم عند الإسلام السياسي ص 4

[122] - ينظر : نبيل راغب، الأقنعة السبعة للعولمة ص 237

تستطع مواجهة ثقافة العولمة لهشاشة مكوناتها الاجتماعية فخسرت المعركة بالضربة القاضية في صراع تمتلك فيه العولمة كل الأسلحة، بينما تتحصن الأصولية بهوية دينية منهكة واستبداد نظم سياسية فاشلة في الإدارة والتنمية، فلم تجد هذه الجماعات سوى العنف والإرهاب طريقا للدفاع عما تعتقد أنه الصواب.

وننتقل إلى تحديد منطقة التواطؤ بين العولمة ونظم الاستبداد، وكيف توطدت هذه العلاقة ؟

والسمة المشتركة الأولي بين العولمة والاستبداد أن كليهما يسعي إلى التنميط، فالعولمة تسعي لتنميط المجتمع الدولي علي أسس وقواعد اقتصادية، أما الاستبداد فيسعي إلى هيكلة وتنميط أفراد المجتمع للخضوع علي أسس سياسية أو وطنية أو دينية للقائد الأوحد والرئيس الملهم واختيار الضرورة، ومن خواص الاستبداد أنه يعمل علي تقسيم الشعب إلى مذاهب وفرق وشيع متناحرة يقاوم بعضها بعضا ليتمزق نسيج المجتمع وتتهاوي قوة الأمة وتفرغ الساحة للاستبداد ليبيض فيها الفساد ويفرخ، فيعبد– سواء يدري أو لا يدري– الطريق أمام جرافات العولمة التي تجد البيئة ممهدة لاكتساح الهوية والثقافة الوطنية.

وهذا يعيدنا إلى قضية توظيف النظم السياسية الاستبدادية للتنظيمات المتطرفة بالتواطؤ مع الولايات المتحدة للقضاء علي العدو الرئيسي لها وهو الاتحاد السوفييتي وتصفية وجوده في أفغانستان على يد هذه الجماعات " التي أطلق عليها في ذلك الوقت مسمى " الجماعات الجهادية " كمصطلح جذاب للمشاعر الدينية الإسلامية حتى تنتهي من انجاز مهمتها لصالح هيمنة الولايات المتحدة والدول الغربية كقطب أوحد علي الشأن الدولي، ثم انقلب مصطلح الجماعات الجهادية – في المفهوم الغربي– إلى الجماعات الإرهابية بعد التخلص من القطب الآخر أو العدو الأيدلوجي في المعادلة الدولية، وعادت تلك الجماعات إلى أوطانها بعد جرعة مكثفة من التدريب العملي في أفغانسان لتصبح أقوى وأصعب مراسا.

وهذا يبين أنه في الوقت الذي كانت جماعات الإسلام السياسي تتلقى دعما عسكريا ولوجستيا من رأس قوى العولمة ممثلة في الولايات المتحدة الأمريكية ووكلائها الغربيين، تركت لها الأنظمة الاستبدادية العربية الحبل على الغارب كي تتغذي على أفكار الهوية والعنف المسلح والانعزال عن مجتمعاتها وتكفيرها، فتربي العنف في كهوف العقل المستلب وتراكم الثروة والسلاح والخبرة

في ميادين القتال في أفغانستان والشيشان والبوسنة والعراق ثم في سوريا وليبيا لاحقا، وبهذا رعت الولايات المتحدة وشركائها الغربيين والحكام العرب معا جماعات تعيش حالة اغتراب عقلي ونفسي ليستوطن الخلل في انحراف معتقداتها ويحولها إلى طوائف وفرق تتبنى أفكار امتلاك الحقيقة المطلقة وتتاجر بالمظلومية التاريخية للأمة وتتسربل برداء النقاء والتطهر الجمعي لأنصارهم دون غيرهم، في الوقت الذي كانت فيه آليات العولمة الثقافية تفعل مفعولها في شعوب تلك المنطقة المغلوبة على أمرها، فكانت سياساتها الاستبداية / الإقصائية / العاطلة هي البيئة الحاضنة للحقد والكراهية والعنف في اتجاهين :

1- اتجاه الجماعات الدينية المنعزلة

2- اتجاه المجتمعات المتعددة الإثنية والمذهبية

ويلتقط المفكر الفرنسي " روجيه جارودي " خيط اعترافات المدير التنفيذي لصندوق النقد الدولي في 30 مارس 1992 بمدينة ليل الفرنسية بقوله " لقد أظهر النظام الذي قمنا بصياغته وتطبيقه والدفاع عنه، أنه يتمتع بقدرة عالية على خلق وتكوين الثراء وزيادة معدل التراكم الرأسمالي([123])، دون أن يكون للجانب

[123] - يقصد خلق المجتمع الشره للاستهلاك والاستهلاك الترفي في القلب منه

الإنساني في هذا النظام الأهمية اللازمة " ومن هذا المنطلق تنبأ جارودي في عباراته الدالة على أن الاستعمار الجديد يسعى لفرض اختيارته السياسية والاقتصادية والثقافية على شعوب العالم الأضعف حيث قال : " إن منهج الأصولية العولمية والاستعمار الجديد يسعى إلى فرض عالم واحد له اقتصاده وسياسته وجيوشه وثقافته وديانته الواحدة، ويرفضون أي تنوع ولا يجدون بديلا لتدمير الآخرين والانتصار عليهم "([124]) وتعد جماعات الإسلام السياسي والحركات الأصولية والشوفينية القومية من أكثر الجماعات انغلاقا وتطرفا وتعصبا، إذ تظل هذه النبوءة خير برهان على دقة فهم " جارودي " وسلامة تحليله وصدق حدسه وموضوعيته، فاقتصاد العالم الواحد يكاد يكون مرئيا، وتكاد سياسات العالم تتجه نحو التوحد مع السياسات الأمريكية الغربية باستثناءات محدودة، وهكذا نرى ثقافة العولمة تتحرك بقيمها المجيشة نحو الاستنساخ والتنميط، وهكذا تتم محاولات تسطيح الدين وتحويلة إلى شكل طقوسي خال من المضامين والمعاني.

[124] روجيه جارودي، الإرهاب الغربي ص 20

وهل خرجت القاعدة وجماعة الزرقاوي وداعش–مؤخرا – وجبهة النصرة وأنصار بيت المقدس وأجناد مصر وغيرهم ممن انتهج نهجهم من جماعات خرجت من عباءة الإخوان بعيدا عن هذا التنظير الذي وضعه فلاسفة العولمة، ألا يعرف هؤلاء أن لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار ومضاد له في الاتجاه ؟، وهل غاب عنهم عقد الصفقات مع هؤلاء الذين فقدوا منطق العقل والرشادة، وانقلبوا على أساس المعتقد الذي عبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وشاورهم في الأمر) النحل/ 125، كما عبرت عنه السنة المطهرة في الأحاديث الشريفة على لسان محمد صلى الله عليه وسلم " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " وفي قوله عليه السلام " إن في الاختلاف رحمة " فأين هي الحكمة والموعظة الحسنة مما يدور في بلاد العرب من قتل ووحشية ؟ وأين توارت مكارم الأخلاق وكيف انتشر السباب والشتائم التي تنال كل مخالف في الرأي على مواقع التواصل الاجتماعي وفي برامج الحوار على لسان بعض منتسبي الإعلام المحسوبين على النظام السياسي وأجهزته ؟ وما موقع قبول الرأي الآخر

والاختلاف في الخطاب التطهري الأحادي الجانب، والدعوة إلى الامتثال لأمر القائد الملهم أو مبعوث العناية الإلهية ؟

إن الحكومات الاستبدادية والملكيات الرجعية– في المنطقة– قد عقدوا تحالفا شريرا مع الامبريالية الغربية والصهيونية لحماية عروشهم من نداء العدالة وتقاسم الثروة والسلطة، مما أدى– فضلا عن عوامل أخرى– مثل البطالة إلى زيادة معدلات العنف اللفظي والمادي ونمو ظاهرة الإرهاب بصورة لم يسبق لها مثيل في التاريخ.

إن كلمة السر تكمن في الاعتقاد الجازم بصحة الفكرة وجدارتها، والالتزام بها عبر ثلاثة مداخل: الانتماء بالوراثة بسبب الوقوع في شراك السجن المعرفي، والانتماء بالإحباط نظرا لوجود دافع اليأس من عالم خارجي معادي، والانتماء بالانكشاف نتيجة استعداد عقلي وحادث موجه([125]).

ربما يفسر لنا هذا كيفية رفض المتطرف لأي تنوع ولماذا لا يقبل اختلافا في الرأي ولا يري بديلا عن تدمير الآخر والانتصار عليه، بل إزالته من على وجه الأرض، أو قطع رأسه إذا لزم

[125] ينظر : جيرالد برونر، الفكر المتطرف: كيف يصبح الناس العاديون متعصبين ص 236، 251، 268

الأمر، حتى ولو اشتركت تلك الجماعات المتطرفة معه في الدين والأرض واللغة !! الأكثر غرابة كيف تسني لمن يدعون المدنية والتحرر والبناء استخدام تلك الدعاوى وغيرها في مواجهة الآخر المختلف في الرأي عندما استحوذوا علي السلطة ؟.

ويبدو أن هذه الجماعات التي تنكر أي ثقافة تختلف مع ثقافتها الافتراضية ليست وحدها في ميدان الإقصاء الذي لا يقبل أي خلاف في الرأي، فالمجتمعات العربية بمكوناتها الأصولية والمدنية مصابة بفيروس واحد وهو التعصب والإقصاء مما جعلها تطرح قانونها السلوكي القائم على امتلاك الحقيقة المطلقة حصريا بحيث تصنف الأفعال إما بمعيار ديني بين الحلال والحرام، وإما بمعيار الوطنية كما يعتقد الطرف الآخر من المعادلة، فمعيار الوطنية يمتلكه حصريا أنصار السلطة الزمنية يمنح ويمنع وفقا لمعايير الولاء والخنوع للظلم والاستبداد والفقر في مقابل المعارضة والخيانة والاتهام بالإرهاب، ليصبح الشعب بين سندان الجماعات المتحصنة بالدين ومطرقة المماليك الجدد أو الباشوات ورثة الإقطاعية التقليدية أو الإقطاعية العسكرية.

إن ادعاء الوطنية (الزائفة) يجعل من لا يتفق مع هذه الجماعة المنعزلة شعوريا أو مع النظم الفاشية العسكرية إما طابورا خامسا

أو ضـمن حفنـة المـأجورين، والممـولين، أو يـتهم بالأخونـة والإرهاب، فالهوية التي يطرحها هؤلاء وهؤلاء تتجاهل تجارب التاريخ والتنوع الثقافي والجغرافي، وهو أمر جد خطير سواء على المدي القصير أو علي المدى البعيد، ويؤسس لفكرة السادة والعبيد ويمهد الطريق أمام بلدوزارات الإبادة الفردية والجماعية ونشر ثقافة الانتقام والانتقام المضاد وبالتالي سيادة التخلف والفقر والمرض إلى أن يشاء الله.

obeikandl.com